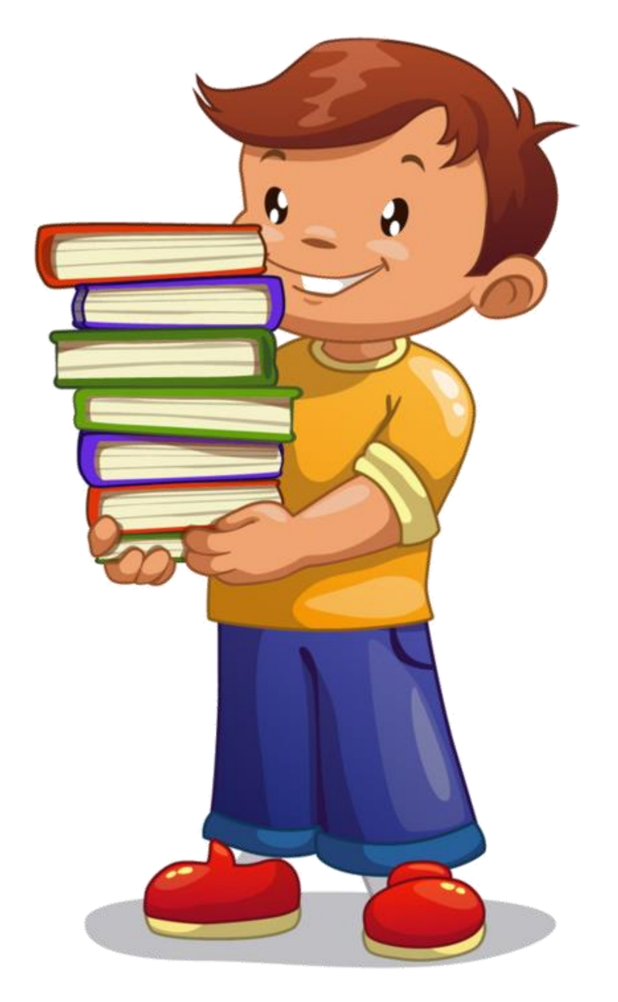
أطفال

عالم

الخيال



* الكتاب: أطفال عالم الخيال

* الكاتب: شيماء محمود عبدالعزيز

* مراجعة لغوية: عبد الله الصياد

* تصميم الغلاف: صابرين عبد الهادي

* إخراج داخلي: سليل الفراعنــة

* رقم الإيداع: 4335 /2022

* الترقيم الدولي: 978-977-6968-25-7

المدير العام: عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com

واتس آب: 01005186476

صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع











أطفال عالم الخيال

شيماء محمود عبد العزيز





إهداء

إلىٰ التي أنا جزء منها وهي كلي؛ روحا وبدنًا وفكرا...

إلىٰ أول وأجمل وجه رأته عيناي عندما سقط عليهما ضوء الحياة لأول مرة...



إلىٰ التي لا ولم ولن أعطيها حقها علي، مهما طال الزمن.

إلىٰ أمي الغالية

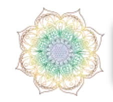





الفهرس



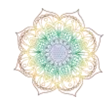
الحصة الأولى





الساعة الثامنة صباحا، وبالتحديد في إحدىٰ المدارس دخل التلاميذ الفصل بدون طابور صباح أو تحية علم، لأن المدرسة كانت مبتلة من أمطار ليلة البارحة التي أثرت علىٰ مجيء الأطفال إلىٰ مدرستهم، وكذلك علىٰ مجيء باقي المعلمين والمعلمات.

دخل حوالي خمسين تلميذا فصولهم بعد أن خلعوا أحذيتهم عند باب الفصل، حتىٰ لا يتسخ بالطين الموجود بالأحذية، وفي الطابق الرابع فصل (١/ ٥) دخل الفصل حوالي ثمانية تلاميذ ينتظرون أول حصة لهم، دخل عليهم ناظر المدرسة وسألهم عن من سيعطيهم أول حصة من المدرسين، فأجابوا بأنه الاستاذ «ثروت» مدرس الرياضيات، فأخبرهم بأنه غائب اليوم بسبب بعد بيته عن المدرسة وغزارة الأمطار التي أغرقت الطريق، وأنه سوف يرسل إليهم الأستاذ «محمد عبدالله» مدرس العلوم، ليأخذ لفصل طيلة اليوم، ففرحوا بهذا الخبر كثيرا، لأنهم يحبون الأستاذ «محمد عبدالله».





جلس التلاميذ في سكون وهدوء بانتظار معلمهم القادم، وبعد حوالي ربع ساعة إذ به يدخل عليهم الفصل بابتسامته وتحيته الهادئة المعهودة، أغلق الباب وسار خطوات معدودة داخل الفصل ليجلس في النهاية وسط التلاميذ علىٰ أحد المقاعد، وتلفت يمينا ويسارا فوجد معظم المقاعد فارغة، فقال:

«أعتقد أن المطر الشديد ليلة البارحة أثر كثيرا علىٰ مجيء باقي زملائكم يا أولادي، فرد عليه «محمود» قائلا:

«ربما، وربما أن هناك ظروف أخرىٰ غير ذلك منعتهم من المجيء إلىٰ المدرسة».

ابتسم المعلم، ثم نظر إلىٰ محمود وسأله:

- لماذا بدأت إجابتك يا محمود بكلمة «ربما»؟!
- لأنني مثل معظم التلاميذ أسكن بعيدا عن المدرسة، وكان المطر شديدا الليلة الماضية، ومع ذلك أتيت إلىٰ المدرسة لأن ذلك هو عملي الذي لا أتأخر عنه، أما باقي زملائي فأنا لا أعرف

ظروفهم لأكون متأكدا من أن عدم مجيئهم الليلة الماضية.

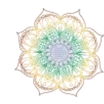
رد الأستاذ بإعجاب شديد: «أحسنت يا ولدي. كنت متأكدا أن طالبا مثلك سيجيب بهذه الإجابة، بارك الله فيك».

ثم التفت إلىٰ باقي التلاميذ وقال لهم:

«مثل ما تعلمنا الآن من محمود، لا بد ألا نحكم علىٰ غيرنا بسرعة قبل أن نعلم ظروفهم».

وبعدها قام من مكانه حتىٰ وقف أمامهم، ومشىٰ خطوات معدودة ناحية السبورة ونظر إليهم، فبادلوه النظر والإنصات، قال:

«علىٰ العموم هذا ليس هو الموضوع الذي قررت أن أحدثكم بشأنه اليوم، فلن أعطيكم أي درس في العلوم من أجل بقية زملائكم، ولكن سنؤجل ذلك إلىٰ يوم الأحد القادم بإذن الله، وأيضا لن أضيع عليكم اليوم من دون فائدة، اليوم سأطلب من كل واحد منكم أن يطلق لخياله العنان، ويسبح فيه ويروي لي أي شيء خيالي، سواء أن كان سمعه أو ألفه





بنفسه، فمنذ أن أتيت إلىٰ المدرسة أخطط لهذا، أريد أن أعلمكم كيف تتخيلون وكيف تطوعون خيالكم هذا لإرادتكم وخدمتكم، أؤمن بمقولة «الخيال الذي لا تحده الحدود، أو تقيده الروابط؛ هو أول خطوة في طريق التحقيق الواقعي لمن يسعىٰ إلىٰ ذلك. هل أنصتم يا أولادي إلىٰ هذه المقولة جيدا؟ فقد يكون هناك خيالا وينتج عنه مخترعات أو تطبيقات مفيدة، فالديناميت عندما اخترعه «ألفريد نوبل» كان الهدف منه المساعدة في إنجاز الأعمال الخاصة بتكسير الجبال، لكن مع الأسف الشديد تحول الآن إلىٰ أداة من أدوات الحرب. ولم نذهب بعيدا؟! والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة: «عباس ابن فرناس» أول إنسان فمر في الطيران، ألم يتخيل أولا أن يطير مثل بقية الطيور؟ وكانت فكرته هذه دافعا لمن بعده لصنع الطائرة.

أيضا مخترع التليفون «جراهام بل» الذي حلم ذات ليلة بأن يصنع شيئا يستطيع إيصال صوته عبر مئات الأميال.

ونذكر أيضا العالم «أرشميدس» الذي اكتشف «قانون الطفو» الذي ستدرسونه بالتفصيل في المستقبل، كيف طوعه خياله لخدمته وتوصل لشيء عظيم مثل ذلك. ألم يحلم الإنسان أيضا بأن يجلس فوق سطح المياه دون أن يغوص لأسفل؟! واكتشف أن الخشب هو أحد المواد المثالية لتحقيق غرضه.

كل الاختراعات والاكتشافات التي صنعت التكنولوجيا التي نعيش في عصرها، كانت في البداية مجرد خيالات وأحلام للبشر علىٰ وجه الأرض، وبمرور الزمن حولها الإنسان إلىٰ واقع حقيقي.

كل ما أردت قوله هو أننا لا بد ألا نستخف بالخيال ونقلل من شأنه؛ فالإنسان الذي وهبه الله نعمة الخيال والقدرة علىٰ إخضاعه لرغباته والتحكم فيه، قد أوتي كل مفاتيح الاختراع والاكتشاف والإبداع الذي يغير الواقع، ويحوله إلىٰ مستقبل. والآن يا أولادي بعد كل هذا الكلام، من منكم يريد التحدث أولا؟!

صمت التلاميذ وبدأ التفكير يسيطر على رأس كل واحد منهم، طال الصمت قليلا والمعلم ينتظر من يبدأ، ولكن «أسماء» كسرت حدة الصمت عندما رفعت يدها وقالت:

«سأحكي أنا أولا!»

ابتسم لها المعلم ثم قال:

«إذن سنتبادل الأماكن، ستقفين مكاني وسآتي لأجلس على مقعدك».

قامت أسماء ومشت حتى وقفت مكان معلمها، ومشى المعلم حتى جلس مكانها وسط التلاميذ. قالت أسماء:

«الأسبوع الماضي كنت أجلس مع والدي بالمنزل، سألته هل صحيح أن الإسفنج يأتي من قاع البحر كما درسته في قصة «مغامرات في أعماق البحار»؟! وهل هو حيوان؟ أقصد كائن يمتلك كل خصائص الكائنات الحية؟! فضحك والدي ثم نظر إلي قائلا: «الإسفنج الذي نستعمله هذا يا بنيتي هو فعلا حيوان بحري، كائن حي جسمه مليء بالثقوب

الصغيرة التي يتخللها الماء والهواء، لذلك نستخدمه في حياتنا اليومية، في تنظيف الأطباق والأرضيات وفي صنع المراتب والوسائد والكراسي، له صيادون يصطادونه من قاع البحر بطرق خاصة، ثم يذهبون به إلىٰ أماكن تصنيعه، لنراه علىٰ صورته المألوفة لدينا جميعا».

بعد أن أنهىٰ والدي كلامه وشرحه، شعرت بالحزن والأسىٰ علىٰ حال الإسفنج، وذهبت إلىٰ حجرتي لأنام، وأثناء ذهابي وجدت باب المطبخ مفتوحا، فدخلته ووجدت قطعة إسفنج فأمسكتها بحزن، وأخذتها معي إلىٰ حجرتي، دخلت وأغلقت الباب ولاحظت الكرسي الموجود بجانب سريري، فوضعت قطعة الإسفنج عليه وقلت لها: «نامي بجوار أختك الكبيرة» ثم ذهبت إلىٰ سريري وجلست قليلا أفكر قليلا فيما قاله لي أبي «الإسفنج حيوان بحري، كائن حي، ونحن كائنات حية نأكل ونشرب ونتنفس وننام، إذن الإسفنج مثلنا يريد أن يعيش» لكنني شعرت بالنعاس فنمت وبمجرد أن أغمضت عيني أحسست بأنني في قاع البحر! أسبح مثل باقي الأسماك والكائنات البحرية، أو مثل «أسامة»

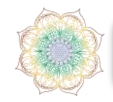
و «أماني» في القصة، أشاهد كل شيء في قاع البحر، الشعب المرجانية وقاع البحر الجميل وكل أنواع الأسماك، وظللت أسبح هنا وهناك وأتجول في قاع البحر حتىٰ غابت أشعة الشمس التي كانت تضيء لي ظلمة البحر، وأقبل الليل وبدأ الظلام ينتشر في المكان، وأنا لا أرىٰ ما حولي، ومن بعيد رأيت ضوء أحمر يقترب شيئا فشيئا مني، ظللت في مكاني أنظر بتركيز، وعندما اقترب الضوء من مكاني وجدتها سمكة تضيء باللون الأحمر، ظلت السمكة تقترب حتىٰ دخلت كهفا كبيرا بعيدا عني بخطوات قليلة، انتظرت ثوان، عادت ظلمة البحر ثانية ولم أعد أرىٰ شيئا، ومن جديد لمحت سربا من الأسماك المضيئة بألوان مختلفة تتوجه ناحية الكهف الذي أمامي، واصلوا الاقتراب حتىٰ دخلوا فيه، فقررت أن أذهب إلىٰ هناك لأرىٰ ماذا تفعل هذه الأسماك بالداخل، وقفت علىٰ باب الكهف فرأيت أنوارا براقة، وجاءت سمكة مضيئة وقفت بجواري، كنت أتأملها لكن وجدت شيئا غريبا بجواري؛ شيء طويل ورخو وسطحه محبب، أمسكته وأخذت أفكر في ما يكون هذا الشيء، لكن تذكرت أنه ذراع

الأخطبوط، وعلىٰ الفور التفت خلفي فوجدت أخطبوطا عملاقا! صرخت بأعلىٰ صوت وهربت منه يمينا ويسارا، وهو يلاحقني، ركضت كثيرا وكثيرا وهو لا يزال خلفي، وفي النهاية قررت أن أدخل الكهف الذي دخلته الأسماك المضيئة من قبل، فدخلت مسرعة وأنا أصرخ، وظللت أجري حتىٰ توغلت بالداخل، اختفىٰ الأخطبوط، وعندما توغلت بالداخل أكثر؛ وجدت أمامي سمكة كبيرة تضيء من رأسها وذيلها، وعندما رأتني جاءت إلي وأمسكت بيدي وأخذتني إلىٰ الداخل دون أن أطلب منها ذلك، وظللنا نمشي حتىٰ وجدت أمامي نورا قويا لا أعرف من أين يأتي، ثم تركتني السمكة وحدي وعادت وبقيت واقفة، ثم استدرت لكي أخرج من هذا المكان الذي دخلت فيه بغير إرادتي، ففوجئت بأن خلفي قطعة إسفنج عملاقة، أمسكتني بيدها ورفعتني لأعلىٰ وألقت بي إلىٰ الداخل، فوقعت علىٰ الأرض المرجانية وسط ملايين من قطع الإسفنج العملاقة، وذهبوا بي عند كبيرتهم فأمرتهم أن يفعلوا بي مثل ما نفعل نحن علىٰ الأرض، أدخلوني إلىٰ السجن ليلا، وفي الصباح جاءت

واحدة منهم وطلبت استعارتي ليومين، وبالفعل أخذتني معها إلىٰ بيتها وأدخلتني المطبخ، وظلت طوال اليوم تضع علي الصابون، وتغسل بي الأطباق والملاعق، وتمسح بي الأرضيات، وبعد انتهاء المهلة أعادتني إلىٰ السجن ثانية.

وفي اليوم الثالث أثناء وجودي في السجن جاءت واحدة اخرىٰ لاستعارتي، اخذتني إلىٰ البيت ووضعتني علىٰ الكرسي الخشب، وظلوا يقفون فوقي طوال اليوم، أحمد الله أن وزن كل الإسفنج الذي جلس فوقي كان خفيفا بالرغم من ضخامته.

ظللت علىٰ هذا الحال طيلة عشرة أيام، بدأت اتهالك ولا أصلح لشيء، ورفض أي إسفنج استعارتي حتىٰ جاءت كبيرتهم إلىٰ السجن ومعها الحراس وقالت لي: «مدة صلاحيتك قد انتهت، وحان وقت التخلص منك» أشارت للحراس آمرة إياهم بتقطيعي، بالرغم من توسلاتي إليهم هجم علي الحراس وظللت أصرخ حتىٰ استيقظت. سمع والدي ووالدتي صوت صراخي فجاءوا مسرعين، وسألوني




عـن السـبب فحكيـت لهـم كـل مـا رأيتـه في الحلـم، ضـحك والدي ومسح علىٰ رأسـي، واخـذتني أمي إلـىٰ حضـنها، قـال والدي: «إن كـل شـيء في الـدنيا سـواء علـىٰ الـبر أو في البحـر، خلقه الله وذلك لمنفعـة الإنسـان وخدمتـه، فـالله فضـل الإنسـان وكرمه وجعله سيد الخلق وخليفته في الأرض؛ ليعبـده ويعمـر أرضه بالخير، لذلك علينا أن نحافظ علىٰ مـا خلقـه الله لنـا ولا نفســد في الأرض، وايضــا لا نضــع أنفســنا مكــان أي شـــيء ونتخيل أنه سيفعل بنا مثل ما نفعل به، فكـل هـذه الأشـياء ومـا علىٰ الأرض في خدمة أعظم مخلوق علىٰ الأرض.



الحصة الثانية

بعد أن انتهت أسماء من كلامها عادت لتجلس مكانها، وعاد الأستاذ «محمد عبدالله» إلىٰ مكانه ثم نظر إلىٰ التلاميذ وقال:

«والدك يا أسماء علىٰ حق في كل ما قاله لك، فإذا تخيلتِ كل شيء نستخدمه أو نستفيد منه كما في حلمك؛ فلن يكون لما بقاء أو حياة في هذه الدنيا تخيلي أن كل شيء يريد أن يفعل بنا مثل ما نفعل به، إذن فلن يكون الأمر قاصرا علىٰ الإسفنج فقط، تخيلي معي أن البقر والجاموس يأتي إلينا ليذبحنا أو يضربنا، وتأتي النباتات لتقطعنا وتأكلنا، وتأتي الحوائط لتهدمنا أو تعيد بناءنا، وتأتي الكراسي والمقاعد لتجلس علينا، وكذلك باقي مخلوقات الدنيا!»

ضحكت أسماء وضحك باقي التلاميذ.

المعلم: القصد من كلامي هذا يا أولاد أن نعلم أن الله كرمنا وشرفنا وأعز مكاننا وسط كل مخلوقاته.

ثم التفت إلىٰ أسماء وهو مبتسم وقال:

«إذن قـولي لـي يـا أسـماء لمـاذا لـم تفعـل معـكِ السـمكة التـي مشـت معـكِ مثلمـا تفعلـين بهـا أنـتِ علـىٰ الأرض؟!»

- لا أفهم ما تقصده يا أستاذ محمد.
- أقصد أن تأكلك السمكة مشوية أو مقلية!

ضـحكت أسـماء وعلـت الابتسـامة وجـوه زملائهـا، وسكت المعلم قليلا ثم قال:

«قال الله في كتابه العزيز: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا» صدق الله العظيم».

بعد أن أنهىٰ المعلم كلامه، رفع «محمود» يده فأشار لـه المعلم بالتحدث. قال محمود:

«كـان يحـدث معي هـذا في العـام الماضـي عنـدما كنـت أذهب مع والدي عند الجزار، كنت أظل أصرخ وأبكـي علـىٰ البقرة التي ماتت ونحن نأكلها، سأحكي لكـم قصـتي في يـوم العيد الماضي...

اشترىٰ لنا والدي خروف العيد، في الصباح ذهبت وأديت الصلاة مع والدي، بعدها ذهبنا لنهنئ جميع أقاربنا ثم عدنا إلىٰ المنزل، تركته ودخلت المكان الذي يوجد به الخروف، نظرت إليه بحزن لأنه سيموت بعد قليل، بعد لحظات سمعت والدي يقول لوالدتي أنه سيذهب ليحضر الجزار!

وقع هذا الكلام علىٰ مسامعي كالصاعقة! لم أشعر بنفسي، جريت مسرعا نحو الخروف وفككت قيده، وخرجت به ثم تركته يجري في الشارع ليهرب من الموت! بعد قليل عاد والدي ومعه الجزار، دخل إلىٰ الخروف لكنه لم يجده، ظل يبحث داخل المنزل وخارجه هو ووالدتي بينما مكثت أبكي في غرفتي، نادىٰ علي والدي وسألني عما إذا كنت أعرف مكان الخروف! نظرت إليه ولم أرد، وبكيت. قال والدي لم تبكي؟ ولم لا ترد؟! فأخبرته بما فعلته، وقتها لم يضربني ولم يعنفني، وجلس هو ووالدتي معي ليشرحوا لي ويفهمونني أن هذا حيوان، خلقه الله من أجل منفعتنا، وأن كل ما في هذه الدنيا مسخر ومذلل لنا ليخدمنا ونستفيد منه.

في اليوم الثاني للعيد ذهبت برفقة والدي عند خالي المقيم في «بورسعيد» وشاهدته وهو يذبح، صحيح أنني لم أطق إكمال المشهد ولكنني... لكنني تحسنت ولم أحزن مثل المرات السابقة، وتعلمت من الدرس الذي علمه لي والدي، لذلك أحبه كثيرا وأحب والدتي.

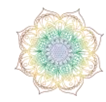
قال المعلم: «أحسنت يا ولدي، بارك الله فيك وحفظك سالما لوالديك» ثم خاطب جميع التلاميذ:

«من منكم يا أولادي يريد أن يتحدث؟»

رفع يوسف يده فأشار له المعلم أن يتبادلان الأماكن، وقف يوسف أمام معلمه وباقي زملائه ثم قال:

«في الشهر الماضي أعلنت المكتبة عن مسابقة في كتابة القصة القصيرة، فرحت جدا بهذه المسابقة لأنها تناسب هوايتي المفضلة، وبعد أسبوع واحد أحضرت القصة التي ألفتها وقدمتها للمسابقة، وبعد ما تم إعلان نتيجة المسابقة تم تكريمي وتلقيبي بأديب المدرسة الصغير!

كانت قصتي تحكي عن المحافظة علىٰ البيئة:





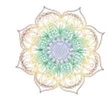
كانت هناك قرية تقع بالقرب من بحيرة صناعية كبيرة علىٰ شاطئ البحر، وبالرغم من أن معظم سكان هذه القرية يعملون بحرفة الصيد، إلا أن شاطئ هذه القرية والمياه المحيطة بها كانت مليئة بالملوثات، وذلك بسبب وجود مصنع كبير للأدوات الكهربائية في مدخل القرية، ومن وسط سكان هذه القرية كان هناك شاب ورث حرفة الصيد عن والديه، حيث كان أبوه يصطاد السمك وأمه تبيعه. كان يذهب بقارب والده للصيد ليلا، ويذهب بالنهار ليبيع ما اشتراه؛ ليدخر ويكون نفسه وينفق علىٰ والديه، وبعد أيام قلائل خطب لع والده ابنة صديقه، وتزوج في منزل بسيط علىٰ شاطئ البحر. وفي يوم سمع الأب المسن أن هناك صاحب سفينة كبيرة للصيد يطلب صيادين ليعملوا معه في رحلته البحرية، ذهب الوالد والتحق بفريق الصيادين علىٰ الرغم من رفض زوجته وولده، سافر وبقية الصيادين بعد أن أعطاه والده شبكته الذي صنعها بيده، أثناء رحلة الذهاب واجهوا أمواج البحر العاتية التي كادت تبتلع سفينتهم، لكن الله نجاهم ورست السفينة علىٰ جزيرة وبدأ العمل، أخرج كل

صياد أدواته، وأخرج الأب شبكة ولده وألقاها، لكنه كان سيء الحظ؛ فلم يصطاد سوىٰ ثلاث سمكات بلطي، وآلاف من قناديل البحر! وعندما أقبل الليل ذهب كل صياد لينام، لكن هذا الأب العجوز ذهب وحده، وظل يتجول حتىٰ وصل إلىٰ منطقة مليئة بالنباتات والطيور البرية، رمىٰ الشبكة ونظر قليلا ثم بدأ في إخراجها، كانت الشبكة ثقيلة جدا، اخذ يشد بقوة حتىٰ أخرجها، كانت مليئة بالسمك العجيب والغريب!

فرح به كثيرا، أخرجه ورمىٰ الشبكة مرة ثانية وانتظر، حاول إخراجها لكنها كانت ثقيلة جدا، كانت الشبكة تهتز بعنف كأنها اصطادت أسدا! ظل الصياد يشد حتىٰ ظهرت علىٰ السطح سمكة قرش كبيرة افترسته علىٰ الفور هو وشبكته، وفي الصباح الباكر ذهب اصحابه للعمل فلم يجدوه وسطهم، بحثوا عنه وفي النهاية عثروا علىٰ المنطقة التي مات فيها، ووجدوا كمية كبيرة من الأسماك الميتة التي تأملها الطيور، ووجدوا أيضا قطرات من الدماء علىٰ الأرض وقطع من شبكته الممزقة، فعلموا أنه مات، عادوا وأهبروا أسرته التي حزنت كثيرا علىٰ فراقه، وخاصة ولده الذي ظل محتفظا

بشبكة والده الممزقة، والتي كان يتأملها بحزن عندما يشتاق لرؤيته... ومرت الأيام وأنجب الشاب ولدا، وعندما بلغ من العمر تسع سنوات كان يذهب مع والده ليتعلم أصول المهنة. وذات ليلة ذهب الصياد وحده، فلم يرد أن يوقظ ابنه الصغير حتىٰ لا يقلقه من نومه، تركه مع أمه في المنزل، وفي منتصف الليل استيقظت الزوجة من نومها قلقة، وقامت لتجلس أمام المنزل وحدها وفجأة...

ظهر دخان كثيف يخرج من المنزل، عندما رأته الزوجة ظنت أن المنزل يحترق، فدخلت مسرعة لتنقذ ولدها، فوجدت حريقا هائلا بالداخل، وبدأت حوائط المنزل تهتز وتنهار، وعندما دخلت لم تجد ولدها الذي خرج من الشباك، وظل ينادي عليها من الخارج وهي تنادي من الداخل، وبعد قليل انهدم المنزل، فصرخ الولد وظل يصرخ حتىٰ اجتمع الجيران وأهل القرية، أزالوا الأنقاض وأزالوا جثة الزوجة، وعندما أشرقت الشمس عاد الأب فوجد ابنه وأمه العجوز يجلسون بجانب المنزل المتهدم، يبكون بصوت عال و حولهم الكثير كن الناس، جرىٰ نحوهم وهو يسأل عما




حدث! أخبره أحد الرجال بما حدث، وبعد دفن الزوجة بأربعة أيام بدأ الأب وابنه يبنون منزلا من البوص والطين، وأنهوه بعد ثلاثة أيام وتركوه يومان ليجف وبعدها سكنوه. في صباح اليوم التالي ذهب الصياد وترك ابنه في المنزل، ولكنه عندما عاد وجد المنزل مهدوما وابنه بالخارج، سأل ابنه عما حدث فأخبره بأن الشيء نفسه حدث مثلما حدث معه هو ووالدته "انهدمت حوائط المنزل فجأة" تذكر الولد ما حدث منذ أكثر من أسبوع فبكىٰ بشدة، هدأه والده وأخبره بأنه لن يتركه أبدا بعد ذلك.

تعجب الأب وقال في نفسه: "هل يكون وراء ما يحدث لنا شيء غريب؟! لكن ما هو؟" ثم ذهب الأب للصيد ليلا خشية أن يحدث شيء لولده، وظل ساهرا هو وابنه طوال الليل، وفي الصباح ركب هو وابنه القارب وتجولا في البحر، رمىٰ الأب شبكة وبعد قليل أخرجها، فلم يجد سوىٰ خمس سمكات فقط، فرماها ثانية وتكرر الأمر، وهكذا طوال اليوم، عادوا في النهاية بالخمس سمكات، وفي الصباح الباكر ذهب بالقارب مرة أخرىٰ في عرض البحر، وكان اليوم كسابقه، في

آخر محاولة للأب؛ رمىٰ الشبكة وبعد قليل وجد الشبكة تهتز بشكل غريب، ففرح وبدأ يشدها ليخرجها، لكنها كانت ثقيل، فساعده ولده حتىٰ أخرجاها، كانت بالشبكة سمكة مضيئة بشكل غريب، كانت عيناها هي التي تضيء، ذهل الصياد وولده وعادوا بها للمنزل لتكون عشاءهم، وضعها الأب وذهب ليحضر الخشب، ثم عاد وأمر ابنه بإحضارها من الشبكة في القارب، ذهب الولد فلم يجدها موجودة بل وجد بدلا منها قطعة جلد عليها كتابة! فذهب بها إلىٰ والده مسرعا، وجد الأب مكتوب عليها "إن لم ترحلوا من هذا المكان فانتظروا المزيد" تعجب الأب والابن عما يحدث، في الصباح ركب الاثنان القارب وتوغلا ف في البحر فحدث شيء عجيب؛ أظهرت سمكتان عملاقتان أوقعتا مجاديف المركب فدخل المركب في دوامة، نادىٰ الأب ابنه وأمره بالتعلق علىٰ ظهره وقفز في البحر، ظل يسبح ولكنه كان في شدة الرعب والتعب فلم يستطع أن يكمل السباحة إلىٰ الشاطئ، كان هناك من بعيد صياد في قاربه عندما رآه جاء مسرعا وأركبهما في قاربه حتىٰ أخرجهم إلىٰ الشاطئ ونزل

معهم، قبيل المغرب حكىٰ لصديقه الذي أنقذه ما يحدث لهم وأخبره أيضا بخواطر وأمور تدور في رأسه يريد أن ينفذها، ولكن صديقه نصحه بالتخلي عن فكرته ولكنه رفض. وفي منتصف الليل ترك ابنه عند صديقه وذهب إلىٰ صديق آخر له استعار منه بدلة غطس خاصه به وارتداها وغاص في قاع البحر، وهو مصمم علىٰ اكتشاف سر ما يحدث له ظل الصياد يغوص في المياه حتىٰ وصل إلىٰ القاع، فوجد أطنان من المخلفات في القاع ووجد الكثير من الأسماك الميتة والأجهزة الكهربية التالفة، فقاع البحر عبارة عن مقلب مخلفات بحري، وفجأة وهو في قاع البحر، سمع صوتا مخيفًا جعله يخرج علىٰ السطح فوجد أمامه جزيرة بها نباتات كثيفة؛ ولكن الشيء الذي جعله يذهب مسرعا إلىٰ هناك أنه رأىٰ أضواء حمراءً تضيء وتطفئ؛ عندما وصل إلىٰ شاطئها وبدأ يتجول فيها وجد أن كل الأرض مغمورة بالمياه والنباتات الكثيفة، نظر إلىٰ الأرض فرأىٰ الكثير من الأسماك التي تشبه السمكة التي اصطادها واختفت. تعجب من ذلك كثيراً، ققفزت إحدىٰ هذه الأسماك الكبيرة لأعلىٰ وخطفت

نظارته التي كان يمسكها بيده وجرت، جري وراءها حتىٰ ألقتها علىٰ الأرض فانحنىٰ ليأخذها، وعندما رفع رأسه رأىٰ مخلوقا عجيبا أمامه.

كان عبارة عن رأس وجسم سمكة وأيدي وأرجل آدمية ففزع، وعندما حاول أن يجري توقف.

عندما سمعه ينادي عليه، فعاد إلىٰ مكانه واقترب منه وقال له:

- ماذا تريد مني؟ وهل فعلت كل ما حدث لآتي إليك؟!
- نعم ...اختفاء السمكة والرسالة كانت حيلتي لتأتىٰ إلىٰ هنا؛ أما أمر انهدام منزلك فهذا بسبب ضعف القشرة الأرضية لشاطئ البحر والتي تؤثر عليها الملوثات بدرجة كبيرة. أريد منك الآن شيئًا واحدا فقط.
- ماذا تريد؟

- عندما تعود يجب أن تحكي للناس ما حدث لك وتأمرهم بأن يحافظوا علىٰ بيئتهم؛ فغضب الطبيعة يصعب علىٰ الإنسان الضعيف التصدي له أو تحمله.

وافق الصياد علىٰ ذلك، ولكنه سأله عما حدث له وما هي قصته؟!

حكىٰ له أنه كان شابا عاديا وجاء له عالم دفع له مبالغ من المال مقابل إجراء تجربة عليه.

ووافق، وكانت النتيجة أنه تحول إلىٰ مخلوق غريب ولم يستطع العالم فعل شيء فألقاه في البحر وسط فصيلته.

ودعه الصياد وانصرف، عاد وقفز في البحر وظل يسبح حتىٰ وصل إلىٰ شاطئ قريته، عندما صعد وجد ابنه وصديقه وأهل القرية يصفقون له بعدما علموا حكايته من صديقه الذي أخبر القرية كلها، وكانت النتيجة أن القرية بأكملها طردت صاحب المصنع، وقررت الحكومة أن تغلقه وتحاكم هذا الشخص علىٰ ارتكابه جرائم ضد البيئة.

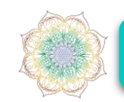



أكمل لهم الصياد الباقي من حكايته حتىٰ النهاية:

كان الشاطئ قبيل الفجر مليء بالكثير من أهل القرية الذين يهتفون بصوت واحد للصياد الشجاع (الصياد صديق البيئة)، وعندما أنهىٰ يوسف قصته دق جرس الحصة الثانية.



الحصة الثالثة





المعلم وهو ينظر إليه:

«أنت ولد حكيم يا يوسف، ألهذه الدرجة تحب بيئتك؟ فيا ليت العالم كله مثلك . اسمح لي أن أناديك بعد ذلك (سفير البيئة) ولن آخذ لقب (صديق البيئة) من بطلك الصياد. ضحك يوسف وأحس بالفخر والتكريم من ناحية مدرسه الذي أحبه هو وباقي زملائه،

ثم استدار المعلم لباقي التلاميذ وقال لهم:

«هل من أحدٍ يريد أن يكمل لنا ما تبقىٰ من هذا اليوم الخيالي الذي صنعناه بأنفسنا؟!»

سكت التلاميذ قليلا والتفت كل منهم للآخر، ثم رفع (خالد) يده، فأشار له المعلم بتبادل الأماكن. وقف خالد أمام معلمه وزملائه وهو مسرور وقال:

«ذات يوم وأنا أجلس في المنزل أمام شاشة التليفزيون، رأيت فيلما تسجيليا عن الزلازل والبراكين وأماكن تواجدها، وما تحدثه من خراب ودمار، وعندما أتيت إلىٰ المدرسة في نفس اليوم ذهبت مسرعا إلىٰ معلم الدراسات الأستاذ "نادر

خليفة" وسألته سؤالا واحدا: "هل من الممكن أن يحدث زلازل أو براكين في مصر؟!"

فرد قائلا: «إن أرض مصر تتوسط العالم كله، وطبيعة أرض مصر ليست بالتي يحدث بها براكين أو زلازل، بمعنىٰ أصح مستبعدة من أماكن تواجدها علىٰ حسب قول علماء الجيولوجيا والطبيعة، لكن هناك شيء هام يا بني، يجب ألا نأمن أبدا تقلب الطبيعة والأرض؛ فالله سبحانه وتعالىٰ يقلب الأرض كيفما يشاء». ثم نظر إلي وقال:

«ألم تسمع أو تقرأ عن زلزال أوائل التسعينات الذي حدث في مصر وأحدث خرابا ودمارا هائلا؟ أو حتىٰ الفيضانات التي حدثت في الآونة الأخيرة ودمرت الكثير من البيوت المصرية وشردت الكثير من المواطنين؟

إن الطبيعة يا ولدي ستظل في تغير مستمر إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، لكن للإنسان دور كبير في جعل الطبيعة أكثر هياجا وتوحشا وقسوة عليه وعلىٰ الأجيال القادمة، بما يفعله من تلويث للبيئة والإخلال بتوازنها

الطبيعي المنظم. أما بخصوص البراكين؛ فإن أرض مصر مستبعدة كثيرا عن حدوث ذلك، لأن القشرة الأرضية المصرية متماسكة وقوية، ليس سهلا علىٰ مادة "الصهارة" التي تخرج من البراكين اختراقها والنفاذ منها كما ستدرس ذلك فيما بعد».

بعد ذلك شكرت الأستاذ نادر وانصرفت مسرورا بعد أن علمت الكثير من المعلومات التي لم أسمع عنها من قبل.

ضحك الأستاذ "محمد عبدالله" وقال:

«إن الأستاذ نادر معلم فاضل وعظيم، فهو عبارة عن موسوعة معلومات متحركة، أنا أيضا مثلكم، عندما يحيرني سؤال أذهب إليه وأسأله، لأرجع من عنده بآلاف من الأسئلة التي تحيرني بعد أن كنت ذاهبا بسؤال واحد!»

ضحك التلاميذ... ثم التفت إلىٰ خالد وقال له:

«أكمل ما بدأته»

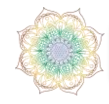
خالد: وفي نفس اليوم بعد أن عدت من المدرسة، جلست في حجرتي أمام الكمبيوتر ودخلت علىٰ الإنترنت

علىٰ موقع خاص بالجيولوجيا، ورأيت مسابقة معلن عنها علىٰ هذا الموقع تقول:

«إن هناك بلدة بها بركان يوشك علىٰ الانفجار، وهي تقع علىٰ شاطئ أخد الأنهار، وقرر سكانها التخلي عن فكرة الفرار وعدم طلب المساعدة من دول الجوار، مع الأخذ غي الاعتبار عدم إلحاق الضرر بالنهر والديار، وحماية أنفسهم من المخاطر والأضرار! فماذا كنت تصنع بالقرار؟!»

أعجبتني هذه المسابقة كثيرا، وقررت أن أشترك بها، جلست أفكر في الحل وسرحت بخيالي، وبعد قليل سمعت صوت والدي ينادي علي لتناول العشاء، فذهبت مسرعا وجلست وأنا سارح، رآني والدي علىٰ حالي هذا فسألني عما بي، فأخبرته عن المسابقة التي رأيتها وعن الحل الذي أفكر فيه من ساعات، فقال لي والدي:

«لقد وهبك الله يا بني سعة هيال لم أرَ مثلها في أي ولد من سنك قبل ذلك، وهذه قوة يا بني يجب عليك ترشيدها واستغلالها جيدا، فهل نسيت القصص الخيالية التي كتبتها





العام الماضي، ونشرتها لك ولاقت إقبالا ومدحا من كثير من الكتاب والقراء؟ أنا فخور بك يا ولدي كل الفخر، وأتمنىٰ من الله أن تصبح من أعظم وأشهر كتاب مصر. وبالنسبة للمسابقة التي أخبرتني عنها؛ فأنت أذكىٰ وأقدر بكثير من مثل هذه المسابقات الضعيفة أمام قوة خيالك الجبارة التي وهبها لك الخالق عز وجل».

فرحت كثيرا بكلام والدي وتشجيعه لي، وبعد العشاء عدت إلىٰ حجرتي وقررت ألا أنام قبل إيجاد الحل...

بدأت افكر وأشغل عقلي وأستحضر خيالي القوي، وبعد دقائق معدودة كونت الخل في رأسي فوضعته علىٰ الورق وارسلته إلىٰ المسابقة! كان الحل كالآتي:

«يقوم سكان هذه القرية بعمل قنوات ومجاري صغيرة ومتعددة، بدايتها من بعد فوهة البركان بقليل، مع بناء سور ضخم عبارة عن حديد متلاحم ومتراص فوق بعضه بطول القرية بأكملها، مع إخلاء المنازل القريبة من السور. والقنوات التي ستحفر حول مصدر أو فوهة البركان لتوصل

الصخور المنصهرة إلىٰ الشاطئ، تكون متوازية من بداية مصدر البركان حتىٰ قرب الشاطئ، ثم تتداخل مع بعضها لتخرج أفرع متعددة ومختلفة منها، فتسيل علىٰ الشاطئ كله وتملأه، وبالتالي لا تسد النهر أو تعيق سريانه، ويستعان بعلماء الجيولوجيا وعلماء المساحة حتىٰ نعلم أو نقدر كمية الصخور المنصهرة التي ستخرج، وضمان توزيعها علىٰ الشاطئ بالتساوي.

وبعد انفجار البركان وبعد أن تخمد ثروته تصبح القرية محاطة بسور صلب ومتين يحميها من أي خطر خارجي، وطريق صخري مستوي يؤدي إلىٰ شاطئ جميل ليس له مثيل في العالم».

بعد شهر واحد من إرسالي للحل، وصلت لي رسالة مفادها أنني قد فزت في المسابقة، ذهبت أنا ووالدي وأختي إلىٰ المكان الذي حددوه، وتم تكريمي وإعطائي شهادة تقدير وشيك بمبلغ خمسمائة جنيه.

قالوا عن حلي أنه الأفضل من الحلول التي وصلت إليهم، صحيح أنه خيالي لكن فكرته عظيمة ورائعة، وكل من كان هناك تنبأ لي بمستقبل عظيم.

كنت قد كتبت في نهاية الحل أن القرية قد أصبح لها نشاط سياحي، بعد أن كانت تعتمد علىٰ الزراعة والصناعة المحدودة، فاشتهرت بين القرىٰ المجاورة بالقرية السياحية التي تمتلك سور وطريق وشاطئ صخري صلب، وأتي إليها السياح من كل أنحاء العالم لمشاهدة هذه المعالم السياحية الجديدة التي صنعتها الطبيعة بتخطيط من الإنسان!»

صفق المعلم لخالد وصفق له باقي زملائه بعد أن أنهىٰ كلامه وعاد إلىٰ مكانه، وقف المعلم أمام التلاميذ ثم قال:

«يجب أن نشهد لخالد أنه أديب صغير ينتظره المستقبل بتلهف، وبالإضافة إلىٰ ذلك هو من أمهر حفظة القرآن الكريم، ونال علىٰ ذلك جوائز كثيرة وشهادات تقدير. ثم التفت إلىٰ خالد وقال له:



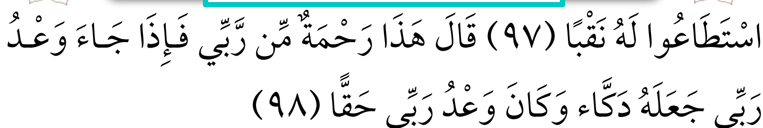
- لقد لمحت في خلك للمسابقة هذه اقتباسك من القرآن الكريم شيئا، وبالتحديد سورة «الكهف» حيث قصة ذي القرنين وما فعل مع يأجوج ومأجوج، لقد اقتبست ذلك من السورة... صحيح؟
- نعم، ولقد كتبت الآيات القرآنية من سورة الكهف التي تنص علىٰ ذلك في حلي الذي أرسلته.

ثم تلا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا علىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا





اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

صدق الله العظيم

وبعد أن انتهىٰ خالد صفق له المعلم بشدة، ومعه باقي زملائه، وقال:

«هكذا يا أولادي، كل إنسان علىٰ حسب بيئته التي تربىٰ فيها، فالبيئة عامل أساسي في تكوين شخصية الإنسان والتأثير فيها، فكل منا يولد علىٰ الفطرة، ثم تبدأ الكثير من المؤثرات في التأثير علىٰ شخصية الفرد بشكل مباشر وغير مباشر ليصبح في النهاية فردا تابعا لما هو فيه، ولكن مع الأخذ في الاعتبار يا أولادي أن لكل قاعدة شواذ، فممكن أن نجد شخصا صالحا قد ولد في بيئة فاسدة، أو شخصا فاسدا جاء من أسرة صالحة.

وأتذكر معكم بالمناسبة «الرسول الكريم صلىٰ الله عليه وسلم» عندما حزن علىٰ عمه أبو طالب الذي كان يحبه كثيرا،



وكان يدافع عنه ويقف أمام قريش كلها، لكنه في النهاية مات علىٰ المفر وحزن عليه الرسول الكريم، ولكن آيات الله نزلت عليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ.

فالله سبحانه وتعالىٰ بيده قلوب العباد، يقلبها كيفما يشاء ووقتما يشاء، اللهم اهدنا ووفقنا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- هل أحد منكم يا أولادي غير خالد يحفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه؟

رفع طالب يده وقال: «إنني أحفظه كاملا»

رفعت طالبة يدها وقالت

«إنني أحفظه كله»

رفعت طالبة يدها وقالت:

«إنني أحفظ ثلاثة أرباعه»

رفع طالب يده وقال:

«إنني أحفظ عشرة أجزاء»

رفع طالب يده وقال:

«إنني أحفظه كله».

رفع طالب يده وقال:

«إنني أحفظ نصفه».

رفعت طالبة يدها وقالت:

«لقد بدأت حفظه من أسبوع».

المعلم: «هدوء يا أولادي... هدوء، إنني فخور بكل من حفظ حتىٰ ولو آية واحدة، أتعلموا أن هذا القرآن سوف

يأتي يوم القيامة شفيعا لكم؟ والأجمل أن والديكم سيلبسون «تاج الكرامة» يوم القيامة بفضل الله ثم بفضلكم.

وهنا دق جرس الحصة الثالثة.



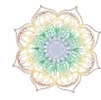
الحصة الرابعة

المعلم: «أحسنتم يا أولادي، دائما أنتم عند حسن ظني، ولكنكم تذهلاني بمستوىٰ تفكيركم الراقي الفريد! بالمناسبة، كدت أنسىٰ أمر الرحلة، من منكم سوف يذهب إلىٰ رحلة الأقصر الشهر القادم؟

رفع كل التلاميذ يدهم ما عدا بنت واحدة تجلس في آخر مقعد، تتلفت حولها يمينا ويسارا.

المعلم: يا «آيات» ألن تذهبي مع بقية زملائك؟

- نعم، لن أذهب معهم.
- ولماذا يا ابنتي؟!
- بصراحة يا أستاذ محمد، لقد أخبرت والدي الليلة الماضية وقال لي أنه لا يملك مئة وخمسون جنيها من أجل الترفيه، وقال لي أننا نحتاجهم في أمور منزلية وعائلية كثيرة غير الرحلات والنزهات، وأنه لو كان معه ما كان يبخل علي ببعض الأوراق من أجل إسعادي وفرحي، ولكنه قال لي: «للضرورة أحكام يا ابنتي، وهناك أشياء كثيرة تحتاج إلىٰ وقتنا





وجهدنا ومالنا، لذلك يجب علينا أن ننظم حياتنا، فكل مطلب على حسب أهميته، فالشيء الذي يحق الاهتمام نضعه في المقام الأول، ثم الأهم فالمهم».

- حفظك الله يا ابنتي من كل سوء ومكروه، وحفظ لك والدك، فكما قال لك كل شيء على حسب أهميته، ولكنني سأذهب إلى الأقصر مع باقي زملائك، ولن أحس بطعم الفرح والمتعة من دونك، لذلك ستذهبين معنا إلى هناك، لنستمتع ونشاهد جميعا عظمة أجدادنا وعبقريتهم.

- شكرا لك يا أستاذ محمد على شعورك تجاهي، ولكنني آسفة، لن أستطيع أن أذهب وأستمتع وأفرح بشفقة أو إحسان من أحد.

- اصغي إلي جيدا يا ابنتي الغالية... ألم تكوني الشهر الماضي الأولى على زملائك في مادة العلوم التي أدرسها لكِ؟

- نعم.

- حسنا، ألم أعهد كل شهر بإحضار جائزة قيمة للطالب الأول؟
- نعم يا معلمي ولكن...
- انتظري يا ابنتي حتىٰ أكمل كلامي، جائزة هذا الشخص كانت قيمتها تقدر بحوالي مئتين جنيه، سأحجز لك بمئة وخمسين تذكرة للرحلة، والخمسين الباقية سأحضر لك بها جائزة رمزية، تتسلمينها في طابور الصباح غدا إن شاء الله. أنا لا أحسن وأشفق عليكِ، ولكن هذا المال هو حقك نتيجة لتعبك وجهدك.

وهنا فرحت آيات وابتسمت وقالت:

«شكرا لك يا معلمي، دائما أنا أحبك كثيرا مع باقي زملائي».

المعلم: الآن نعود إلىٰ ما بدأناه منذ الصباح، من يريد التحدث ومواصلة يوم الخيال؟!

آيات ترفع يدها قائلة: «أنا أريد التحدث». فأشار إليها المعلم بتبادل الأماكن، وقفت أمام معلمها وزملاؤها وقالت:

«وأنا أجلس وسطكم هنا خطرت لي فكرة لم أفكر فيها من قبل، فقررت أن أكتب قصة عنها»

المعلم: ولم لا تحكين لنا هذه القصة ونناقشها سويا معكِ أنا وزملائك؟

آيات: «حسنا... نعرف جميعا أن كل الطبقات والأسر الراقية في وطننا، تستخدم الشوكة والسكين في تناول الطعام، وقليل من يستخدم يديه مثل أهل الريف والصعيد، قصتي التي سأحكيها لكم لا تتحدث بالتفصيل عن أهل الريف وأهل الحضر، ولكن تتحدث عن أحد الفروق بينهما في تناول الطعام، كما ذكرت «الشوكة والسكين» وسيكون هناك في آخر قصتي بعض الأسئلة التي سأطرحها عليكم وعلى نفسي أولا، وأريد الإجابة عنها:

«كانت هناك أسرة من الطبقة الراقية التي تسكن في أحسن المناطق في العاصمة المصرية، كان الأب رجل أعمال

هـو والأم، أما الأولاد فكـانوا يتعلمـون في أرقـىٰ الجامعـات، والغريب في هذه القصـة أن الأم كانـت لـديها شـوكة، وسـكين فضية، أهدتهما لها والدتها عند زواجها منذ خمسة وعشرون عاما، وكانـت معتـادة علـىٰ استخدامهم في تنـاول الطعـام كـل وجبـة، وذات يـوم قبـل تنـاول الطعـام ذهبـت إلـىٰ المطـبخ لتحضرهما، فلم تجدهما، فظلت تبحث هنا وهناك، وكـادت تبكي من شـدة الحـزن، لـولا أنها سـمعت ابنتهـا تنـادي عليهـا وتخبرها أنهما معها، فاطمئن قلبهـا لعـدم ضـياع هدية والـدتها الغالية، ومرت الأيام علىٰ هذه الأسـرة، ومـن كثـرة الحـاقـدين والحـاسـدين علـىٰ رب هـذه الأسـرة النـاجح، لفقـوا لـه تهمـة رشوة والتزوير، وكانت نهاية هـذا الرجـل هـو وأسـرته شـبيهة بـالأفلام، حجـزت الدولـة علـىٰ كـل شـركاته ومصـانعه، وتـم بيعها في مزاد واشتراها منافس له يكره أن يراه أمامـه، بـل يكـره اسمه إذا ذكر، وكل ذلك لأنه أفضـل منـه بكثـير عنـد الله وعنـد الناس.

وجاء اليـوم الـذي سـتترك فيـه هـذه الأسـرة بيتهـا، كـانوا علىٰ وشك الرحيل، يجمعـون كـل مـا يخصـهم مـن أغـراض،

وبينما هم على ذلك إذ بأسرة الرجل الحاقد آتية إلى المنزل الذي اشتروه لتأخذ مكانهم، دخلت زوجة هذا الرجل المطبخ وراء زوجة الرجل الصالح، ورأتها وهي تأخذ الشوكة والسكين هدية والدتها، فصرخت في وجهها فتركتها لها، وغادرت الأسرة منزلها الذي قضت فيه أجمل أيام حياتها.

بحثوا كثيرا عن مسكن مناسب لهم، وفي النهاية لم يجدوا أمامهم سوى غرفتين في حي شعبي، أمام مقلب مخلفات كبير فسكنوه، وأصبح كل واحد منهم يعمل أي عمل ولو بسيط، حتى الأولاد يعملون بجانب دراستهم، في منزلهم السابق دخلت الزوجة إلى المطبخ وأحضرت الشوكة والسكين الفضية، وأعطتهما لزوجها كي يشاهدهما، ثم أدخلتهما إلى مكانهما في المطبخ ثانية لحين وقت تناول الطعام، وقررت الشوكة والسكين بألا يستخدمهما إلا صاحبتهما القديمة، فلن يطيب طعام لهذه الأسرة بهما، وعندما حان وقت تناول الطعام جاءت بهما الزوجة وجلست على المائدة، ولكنها لم تستطع الإمساك بهما أو التحكم فيهما، وعندما غرفت بالشوكة بعض الطعام وأدخلته فمها،

وخزتها الشوكة فصرخت وألقت بهما أمامها، ضحك منها زوجها وقال أنها لا تجيد استخدام مثل هذه الأشياء، وأمسك بهما علىٰ الفور، فقطع بالسكين بعض الطعام، وعندما أدخل بالشوكة في فمه جرحته، وتلون فمه باللون الأحمر، صاح الرجل في الشغالين وأمرهم بإلقاء هذين الشيئين في سلة المهملات.

في الصباح الباكر، جاء عامل النظافة ومر من أمام المنزل بعد أن أخذ كيس المخلفات، ووضعه علىٰ ما معه ومشىٰ به حتىٰ وضعه في صندوق كبير، وجاء عامل آخر للنظافة وضع الصندوق علىٰ شاحنة كبيرة، ومشىٰ به كثيرا حتىٰ أفرغه في النهاية في حي شعبي به أكبر مقلب مخلفات في المنطقة، وهناك... في الحي الشعبي أمام مقلب المخلفات، حيث كانت تسكن الأسرة الأولىٰ، نظرت الابنة من الشباك ونادت علىٰ أحد الأطفال الذي كان يتردد علىٰ منزلهم لتذاكر له، وكان الطفل يلعب بالمخلفات، فذهب إليها مسرعا، دخل المنزل وفي يده كيس أسود، فنصحته البنت بألا يلعب في المخلفات مرة ثانية، حتىٰ لا يصاب بالأمراض، وقالت له

أن الناس لا تلقي إلا بالمخلفات الضارة، ولكن الطفل رد عليها وأخبرها بأنه يجد أشياء جديدة وغالية في مثل هذه المقالب.

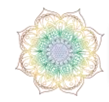
كان الأب يجلس ويستمع إلىٰ الحديث، فرد عليها وقال:

«الطفل كلامه صحيح يا ابنتي، فالكثير من الناس يلقون بأشياء قيمة وثمينة في مثل هذه المخلفات».

التفتت البنت إلىٰ الطفل وقالت له:

«ما هذا الكيس الذي تحمله؟!»

فرد عليها وأخبرها بأنه هدية لها، وفتح الطفل الكيس الأسود وأخرج لعبة صغيرة، وقال لها: «هذه هديتك» وهناك هدية لخالتي، فنادت البنت علىٰ والدتها، فأخرج لها الولد الشوكة والسكين، هدية والدتها الفريدة! ذهلت الأم وجميع من بالمنزل، وقالوا بصوت واحد «له في ذلك حكم!».




وبعدها بأيام قرر الأب أن يعمل بمشروع إعادة تصنيع المخلفات، ودرس المشروع وخطط له، وبدأ في تنفيذه، وشغل معه أولاده، الكثير من شباب الحي العاطلين، توسع العمل شيئا فشيئا، وازدادت المكاسب والأرباح، وبعد عامين فقط من العمل الجاد جمع هذا الرجل ثروة عظيمة أكثر مما امتلكه في السابق، واستعاد مكانته القديمة بعد أن واجه أصعب وأقسىٰ الظروف، وتحمل الكثير من المتاعب، حتىٰ وصل إلىٰ ما هو عليه من عز ونعيم.

كان هذا الرجل يتمتع بإرادة حديدية وقوة وعزيمة فولاذية، وعقل من ذهب، استطاع به تحويل الهزيمة إلىٰ نصر ساحق، هذا هو حال الممتلكات التي بارك الله فيها، وأخلصها وخصصها لأصحابها فقط دون غيرهما، فلا بد من رجوع الشيء لأصحابه مهما طال الزمن...

أوليست مصر كلها أقدر أن نحبها ونعشقها مثل أي شيء غال نحبه ونمتلكه؟! هي أولىٰ بالحب هذا منا، أهذا

صحيح يا معلمي؟ إنها ليسته شيئا نملكه، بل شيء يتملك حبه وعشقه أفئدتنا.

قال المعلم وقد ارتسمت على وجهه علامات الإعجاب الشديد:

«لا أدري ماذا أقول لك! كلمة ممتازة أقل من أن أصف بها مستوى عقلك، سألقبك من الآن «بالمناضلة آيات» عاشقة وطنها، ستقومين بدور عظيم تجاه وطنك في المستقبل القريب إن شاء الله، أما بخصوص الأسئلة التي طرحتيها، فأنا أقول لكِ أن الله خلق أرض مصر من أجل المصريين، ووفر كل ما تملكه هذه الدولة من كنوز لا تقدر بثمن من أجل شعبها، ذلك الشعب الذي ذكره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأن له ذمة ورحمة، وأن جنوده خير أجناد الأرض، لذلك فمن الواجب على شعب مصر المحافظة على أرضها الغالية حتى ولو ضحى بالمال والأهل والروح من أجلها.

مصر يا أولادي هي مهوىٰ فؤادي وعشق قلبي، لا أرتاح إلا علىٰ أرضها، فهي الملاذ الوحيد والآمن لنا نحن المصريين.

لذلك يا أولادي أوصيكم بحب هذه البلد وعشقها، وأوصيكم كثيرا في المستقبل ألا تتركوها وحيدة وتهاجروا، كما يفعل الكثير من الشباب الحالي؛ فالأم دائما تحتاج ولدها، والابن البار لا يتخلىٰ عن أمه.

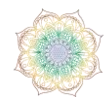
وهنا دق جرس الفسحة.



الحصة الخامسة

انتهت الحصة الرابعة، ودق جرس الفسحة، فقال الأستاذ محمد عبدالله، لقد حان وقت الفسحة وتناول الطعام، يجب أن أترككم الآن وسآتي بعد انتهائها.

- يوسف: «انتظر يا أستاذ محمد... نحن لا نريد فسحة! ابق معنا لنكمل ما بدأناه منذ الصباح».
- المعلم: «ولكن يا أولادي يجب أن تتناولون طعامكم».
- محمود: لا... لا نريد طعاما، ابق معنا.
- أسماء: ليس معنا طعام أصلا، لقد جئنا اليوم ونحن نظن أننا سنأخذ حصتين ونغادر، ولكن اتضح أنه اجمل يوم قضيناه سويا.
- محمود: نعم هو أجمل يوم، ليت المطر ينزل كل يوم لنقضي وقتا جميلا مثلما نحن فيه الآن.
- آيات: لا تذهب يا أستاذ محمد، ابق معنا، نريد المواصلة ونرجوك ألا ترفض طلبنا.
- خالد: نحن نحبك كثيرا يا أستاذ محمد ونريدك معنا دائما.





- محمد: انتظر يا أستاذ محمد، لم أتحدث أنا وصفاء إلىٰ الآن.. اعطنا فرصة.
- المعلم: حسنا... كما تريدون، شاعرنا لم يتحدث حتىٰ الآن، هيا يا «محمد» أخبرنا بما لديك، وأرجو أن تلقي علينا إحدىٰ قصائدك الجديدة، هيا أيها الشاعر العظيم نتبادل الأماكن... هيا!

يقف محمد أمام معلمه وزملائه ويقول:

«منذ الطفولة ووالدي ووالدتي يلقبونني بـ «الشاعر» وعندما كنا نسكن في الريف، كنت ألعب أنا وأختي التوأم «صفاء» في الحقول ونذهب مع والدنا لري الأرض وإطعام البهائم، وبعد أن نقلنا حياتنا كلها هنا حزنت كثيرا في البداية، لأنني فقدت الخضرة والماء والبراح، وجئت هنا إلىٰ الازدحام والتكدس، ولكن سرعان ما تعودت علىٰ الحياة هنا وسط من أحبهم.

ذات يوم ذهبت أنا وأختي إلىٰ إحدىٰ الحدائق العامة، في ثالث ايام عيد الفطر، جلست فوق العشب الأخضر،

ونظرت وتأملت حولي منظر الأشجار العالية والنخيل التي أبدع الخالق عز وجل صنعها، سرحت بعقلي إلىٰ ما تريه لي عيني، ورجعت أتذكر أيام طفولتي في الريف، هناك وسط البساتين الخضراء.

رأيت بعض الكلمات، بل بعض الجمل تأتي علىٰ لساني ويرددها من لحظة لأخرىٰ، فعرفت أنني علىٰ وسم تأليف بعضا من الشعر، ذهبت مسرعا وأحضرت ورقة وقلم، رأيت يدي تكتب في منتصف السطر: «قصيدة عن الريف» ثم بعدها:

ريفكِ يحفظه الرحمن في كل صباح ومساء

هو أجمل أرض طيبة وخصوصا حسن الأجواء

انظر للأرض الباسمة وانظر للخضرة والماء

شريط أخضر ممتد كأنه جنة خضراء

أشجار تبدو أفرعها كمن كان ينادي بنداء

وانظر لسماء صافية كأنها ماسة زرقاء

وأنظر لأناس طيبتهم تفوق وصف الشعراء

قد زرعوا الخير بأيديهم وأضاءوا بالعقل ضياء

وهنا وقف المعلم وصفق له من شدة الفرح، وكذلك باقي زملائه.

المعلم: «أحسنت... بارك الله فيك يا شاعر الريف».

محمد: بعد أن كتبت هذه القصيدة، عرضتها علىٰ والدي، ففرح بي كثيرا، وقال لي أنه سوف يقدمها لي في إحدىٰ المسابقات، بالفعل تم ذلك وفزت بجائزة كبيرة.

وذات يوم، كان والدي يجلس في الصباح يقرأ الجرائد، فوجد إعلانا عن مسابقة شعرية للأطفال تحت الخامسة عشرة عاما، أخبرني والدي بذلك فأخبرته بأنني أريد الاشتراك في المسابقة، لأنني ألفت قصيدة أود الاشتراك بها، وعرضت علىٰ والدي ما ألفته، نظر فيها والدي وقال لي: «كيف كتبتها؟!» فأخبرته بأنني كتبتها علىٰ شكل يشبه قصيدة عندنا في كتاب المدرسة، ولكن ليست هي، ودخلت مسرعا إلىٰ غرفتي، وأخرجت كتاب المدرسة، وأتيت بالصفحة التي بها القصيدة المدرسية التي تشبه قصيدتي.

نظر والدي في الورقتين قليلا، ثم نظر إلي في ذهول ثم قال: «إنها معارضة... نعم معارضة» وقتها لم أفهم شيئا من والدي، وبعد أن سألته شرح لي أن شعر «المعارضة» هو نوع من أنواع الشعر، يكتب فيه الشاعر قصيدة تشبه قصيدة شاعر آخر، بنفس الوزن والقافية، ولكن بكلمات ومضمون مختلف.

في ذلك اليوم لم يستطع والدي أن يصبر حتىٰ الصباح، أخذني وذهبنا إلىٰ مقر المسابقة وقدمها لي، وأثناء عودتنا إلىٰ المنزل اشترىٰ لي كل ما كنت أطلبه منه، وما هي إلا أيام قليلة وتم إعلان نتيجة هذه المسابقة الكبيرة، وكنت أنا الفائز الأول وتم تكريمي في حفلة رائعة، وصورني التليفزيون، وكتبت عني الجرائد والمجلات تحت اسم «الشاعر الصغير المعجزة» حصلت علىٰ مبلغ كبير من المال أودعه والدي باسمي في البنك حتىٰ أكبر.

المعلم: «بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنا فخور يا ولدي لأنني ادرس لطالب مثلك، فهذا شرف كبير، ولكن هل يمكن أن تلقي علينا قصيدة المعارضة هذه؟!»

محمد: «نعم بالتأكيد يا معلمي... »

وقف محمد شارحا بيده ما ينطقه وقال:

يا صــاحبي هيـا بنا ننشر الخير بأرضنا

نزرع المجد بأرضنا نجعل السـلام هدفنا

يا صاحبي هيا بنا

نملأ العالم خيرا نزرع الخير بأرضنا

نحمل بين أفئدتنا حب الخير لأهلنا

نطير علىٰ كل زهرة نحمل الحب والهنا

يا صاحبي هيا بنا

مصر داخل قلبنا أرض العمل أرض المنىٰ

يا قاهرة أعدائنا يا ظاهرة أعلامنا

يا صاحبي هيا بنا

نروي السلام بأرضنا نمحي الظلم من هنا

نبهر العالم بفننا نظهر قوة مصرنا

نبدأ بالحمد يومنا وتبقىٰ مصر أولىٰ زمننا

يا صاحبي هيا بنا

وقف المعلم وزملاؤه وصفقوا له بشدة.

المعلم: «اليوم أثبتم لي يا أولادي أنني علىٰ حق في كل ما أقوله للناس عن عظمة أبناء النيل وذكائهم، وإبداعاتهم الخارقة التي لا تحدها الحدود أو يسيطر عليها أو يطغىٰ عليها الركود... ما هذا؟! هل أقول شعرا انا أيضا؟! لقد عديتني يا شاعري الصغير!»

ضحك محمد وضحك باقي زملائه، ثم التفت إلىٰ صفاء أخته وتوأمه وقال لها:

«أعلم أنك تريدين التحدث الآن، فماذا نفعل؟!»

قالت صفاء: «نتبادل الأماكن».

وقفت صفاء أمام معلمها وزملائها وقالت:

«كنت أذهب أنا ووالدي قبل أن نأتي لنسكت في القاهرة لزيارة جدتي، وهي في الحقيقة ليست أم والدي، لكنها زوجة أبيه، وبالرغم من ذلك فقد ربته هو وبقية أعمامي وعماتي أحسن تربية، وعاملتهم كأم ولدتهم، بعدما توفيت والدتهم في حريق بالمنزل، ركبنا السيارة «الميكروباص» وكنت أجلس

أنا ووالدي في المقعد الخلفي بجوار الشباك، في هذا الوقت كنت معتادة على الهدوء والخضرة، نظرت من شباك السيارة فوجدت حولنا مئات السيارات المكدسة، ووقفت السيارة التي كنا فيها وبقينا منتظرين حوالي ساعة أو أكثر، سألت والدي عن سبب كل هذا الزحام الذي لم أره من قبل في حياتي، فأجابني وقال:

- إنها زحمة المرور يا صفاء... إذا رأيتِ هذا الكن الهائل من الزحام فاعلمي أننا في العاصمة.
- وهل لا بد يا أبي أن تكون العاصمة مزدحمة بهذا الكم الهائل من السيارات؟ هل هذه سمة كل عواصم العالم؟!
- لا يا ابنتي، ولكن من المعروف أن العاصمة تكون أكثر المناطق زحاما من أي محافظة أخرى، وهذا يا ابنتي ليس في مصر فقط، ولكن في معظم دول العالم وهذه ليست سمة العواصم، فهناك عواصم يسودها الهدوء والجمال.



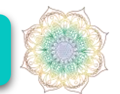
- كان من المفروض يا أبي أن تكون العاصمة أكثر المناطق جمالا وهدوءا، إن القاهرة عاصمة الدولة، يعني واجهتها يا أبي.
- أنت على حق يا ابنتي في كل ما تقولينه، ولكن ماذا كنتِ تحلمين به للقاهرة؟ احكي لي عن القاهرة الجميلة التي في خيالك.

صفاء وهي سارحة:

«كنت أتمنى يا والدي أن تكون العاصمة أجمل مكان في الدولة كلها، المباني متراصة بحوار بعضها بطريقة منظمة جيدة متناسقة، ألوانها ساحرة وجاذبة لكل من يراها، تدل على عظمة من يسكنها، المناطق التجارية والأسواق في جانب مخصص لها، والمناطق السكنية في جانب آخر، والمناطق الصناعية في جانب، أو لا يكون بها مصانع وسط المساكن حتى لا تتلوث البيئة المحيطة، فيكفيها عادم السيارات الذي سنقلل منه أيضا فتكون المصانع وغيرها في الصحراء الواسعة.

نسيت أهم شيء... الحدائق والمتنزهات التي لا بد وأن تملأ كل شوارع العاصمة ولا يخلو شارع منها، وبخصوص زحام المواصلات؛ فأعتقد أنه لا بد من تقليل عدد السيارات، عن طريق مد خطوط مترو وقطارات جديدة وإدخالها في كل المحافظات، أو علىٰ الأقل استخدام الأتوبيس ذي الطابقين بشكل أوسع. وهناك المثير والكثير من الأشياء التي لا أعلم عنها شيئا حتىٰ الآن ولكن... لكن يا أبي يمكن بذلك تحسين واجهة مصر الحضارية ولو بجزء بسيط.

- وكيف عرفت هذه الجملة؟!
- يا أبي نحن جيل التكنولوجيا الحديثة، لقد ولدنا في عصر العلم، سواء كنا أطفال الريف أم اطفال الحضر، لا فرق بيننا... نعلم الكثير عنا قضايا مصرنا الحبيبة ومما تعاني، فلم تعد عقولنا قاصرة علىٰ التفكير في اللعب والحلوىٰ، مثل أطفال الماضي الذين عاصروا زمنا غير هذا الذي نعيشه نحن.

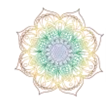


- أنتِ مهندسة عمرانية صغيرة، وأنا آمل فيكِ أن تحققين الكثير من الإنجازات لبلدك الحبيبة في المستقبل، حفظكما الله لنا يا أولادي، لقد قالتها أمك: «لقد أنجبنا شاعرا ومهندسة».

وفي هذه اللحظة سمعنا سائق السيارة يصرخ بأعلىٰ صوته:

«وصلنا، وصلنا... النهاية!» فنظرنا حولنا فلم نجد سوىٰ نحن الراكبين الباقيين في السيارة، وأن كل الركاب قد خرجوا، والسائق ينظر إلينا بتعجب، فنزلنا مسرعين وتابعنا الزيارة.

المعلم: بارك الله فيكِ يا ابنتي... أعلم أنكِ فتاة ذكية جدا، وبالخصوص في مادة الرياضيات، دائما ما يحكي لي عنكِ «الأستاذ ثروت» مدرس الرياضيات، وعن ذكائك الفريد في مادته، وكيف أنك تتفوقين حتىٰ عليه في حل بعض المسائل الصعبة، سيكون لكِ مستقبل عظيم بإذن الله تعالىٰ، أنتِ وأخيكِ محمد توأمكِ، ولباقي زملائكِ هنا في الفصل،





وحقا كما قالت والدتك: «لقد أنجبت شاعرا عظيما جليلا، ومهندسة معمارية بل وعالمة رياضيات نادرة موهوبة وعالمية. ويا ليت يا ابنتي كانت العاصمة كما تخيلتها، متناسقة، منظمة، جميلة، ولكن أحب أن أذكركِ وأذكر باقي زملائك، أنه ليس كل ما نتمناه نحققه، ولكن يجب علينا السعي والاجتهاد المستمر، لنرضي الله قبل أي شيء ونرضي أنفسنا، ولا يجب علينا أبدا البعد عن الواقع وما فيه من مشاكل وصعاب، والاستسلام لليأس أو حتىٰ الانغمار في الخيال، لكن كما قلت في البداية يجب أن يكون خيالنا هادفا، بحيث يمكن الاستفادة منه وتحقيق حتىٰ ولو جزء بسيط منه في الواقع».

هنا دق جرس الحصة الخامسة.



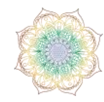
الحصة السادسة

المعلم نظر إلىٰ كل التلاميذ ثم قال:

«الآن لم يبق إلا منصور، الدكتور المشهور، عالم الطب البعيد عنه الغرور، العارف بكل الأمور... إنني أقول شعرا للمرة الثانية!»

ثم نظر المعلم إلىٰ محمد؛ فضحك كل التلاميذ، قام منصور من مكانه ووقف مكان معلمه ثم قال:

«جدي الطبيب المشهور الذي أعيش الآن في بيته هو الذي حببني في الطب، بالرغم من أن والدي كان يتمنىٰ أن أصبح ضابطا للشرطة مثله. دائما أذهب مع جدي إلىٰ عيادته الكبيرة، وأحيانا أذهب معه إلىٰ المستشفىٰ الخاصة به، جدي دائما يقول لي أنني سأصبح عالم نابغ في الطب، لأنني عالم نابغ في هذا المجال، لذلك هو يهتم بي أشد الاهتمام، ويشجعني دائما، وعلمت من جدي أن الكثير من الأمراض تسببها الفيروسات التي تدخل جسم الإنسان مع الطعام الذي يتناوله، أو مع الهواء الذي يتنفسه، او بأي طريقة أخرىٰ غير ذلك.





لذلك عندما دخلت إلىٰ معمل المستشفىٰ مع جدي، وجدت الكثير من الأطباء يجرون تجارب وأبحاث، فجلست بجانب واحد منهم، وسرحت بخيالي...

تخيلت نفسي أحد هذه الكائنات الدقيقة التي لا تُرىٰ بالعين المجردة، لقد كنت أحد الفيروسات، أطير معهم في الهواء وأرىٰ كل الناس وكل الكائنات الحية وهم لا يرونني، كنت فيروسا متخصصا متسببا في مرض الأنفلونزا، فكل فيروس له مرض خاص يسببه دون غيره، ظللت طائرا في الهواء، ولمحت من بعيد رجلا يأكل تفاحة غير مغسولة بالمياه، وقفت عليها وهو يمسكها بيده، فوجدت الكثير من الفيروسات والكائنات الدقيقة، علىٰ الفور دخلت فمه عن طريق أنفه، فوجدت التسوس يأكل أسنانه، كانت الرائحة كريهة جدا، وفجأة وجدت مياه تدخل إلىٰ الفم وهي محملة بكثير من البلهارسيا الصغيرة، كانت أسنان هذا الرجل صفراء وبعضها أسود، فعلمت علىٰ الفور أن هذا الرجل يدخن السجائر، وقررت أن أترك فمه وأدخل إلىٰ بلعومه الذي كانت جدرانه مليئة بالتليفيات، وبعد ذلك كنت سأدخل إلىٰ

القصبة الهوائية، ولكني انتظرت ومشيت عدة خطوات حتىٰ وصلت إلىٰ المريء، فوجدت كميات هائلة من التفاح المقطع الذي يغطيه عدد هائل من الميكروبات التي تلوح لي بيدها وهي في غاية الفرح والسعادة!

مشيت عدة خطوات ونظرت علىٰ طول بصري، فوجدت المعدة من بعيد، ولأن فتحة الفؤاد الموجودة في أولها كانت مفتوحة؛ استطعت أن أرىٰ كل ما بداخل المعدة من طعام وشراب، وكانت المعدة تكاد تنفجر من الطعام المحشو بداخلها، فالتفاح المطحون في هبوط مستمر بكل ما عليه من جراثيم وميكروبات، وهناك الكثير من الخبز، الفول، الحلويات، اللحم، المكسرات، المخللات، والسلطات والكثير...

رأيت كل الكائنات المسببة للأمراض تتنازع بالداخل علىٰ من يحتل المكان الأكبر والأهم! رجعت علىٰ الفور ودخلت القصبة الهوائية، ثم وجدت شيئين كبيرين أسودين، بهما الكثير من ذرات الدخان المعلقة بهما، لقد كانت رئتيه!

عبارة عن كتلتين من السواد القاتم، ونظرت حولي فوجدت الكثير من المخاط المختلط بالدم، وفجأة...

وجدت المكان الذي أنا بداخله يهتز بشدة، لقد كان هذا الرجل يسعل بعنف، فالمخاط المثير الموجود كاد يقفل القصبة الهوائية ويكتم أنفاسه.

كان الكثير من المخاط يمشي حتىٰ يخرج من فمه، لكن القصبة الهوائية عادت إلىٰ الاهتزاز بعنف ثانية، واهتز الجسم كله بعنف حتىٰ سقط الرجل علىٰ الأرض، وجاء الكثير من الناس وطلبوا له الإسعاف.

خرجت من القصبة الهوائية بسرعة لأرىٰ ماذا سيحدث، ولأن رجال الإسعاف وضعوا جهازا للتنفس الصناعي علىٰ فم وأنف هذا الرجل، فخشيت أن أصاب بمكروه، وبعد حوالي نصف ساعة وصلوا به إلىٰ المستشفىٰ، ودخل به الممرضون بسرعة إلىٰ غرفة العمليات، لكن نفسه كان غير طبيعي.

جاء الطبيب ونظر إلىٰ وجه الرجل قليلا، ثم ذهب مسرعا وجاء بأدوات غريبة وفتح فم الرجل، فذهبت بسرعة واختبأت خلف احد الضروس، فوجدته يمد يده إلىٰ داخل فمه بأداة غريبة ويخرج الكثير من المخاط إلىٰ الخارج، ظل كذلك حوالي خمس دقائق ثم أغلق فمه، وسمعت أحد الأطباء يقول أنه سيعطيه حقنة، ثم ذكر اسما إنجليزيا لم أعرفه، وفور أن سمعت ذلك قررت أن أخرج بسرعة، لأنه من الممكن أن يكون به أجسام مضادة، أو منشط لكريات الدم البيضاء التي تعتبر الحارس الأساسي للجسم من الداخل.

وجدت الفم مقفلا، فطرت بسرعة حتىٰ خرجت من الأنف وتركت الجسم كله، بعد أن قررت ألا أفعل له شيئا ولا أسبب له أي عدوىٰ؛ فما هو فيه يكفيه!

خرجت من المستشفىٰ كلها وأنا في غاية الحزن علىٰ هذا الرجل، وفي غاية الكره له أيضا، حزنت عليه لما هو فيه

من أمراض كثيرة وخطيرة، وكرهته لأنه بيده ألقىٰ بنفسه إلىٰ الهلاك، وكما قال الله تعالىٰ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«وَلَا تُلْقُواْ بِأَيدِيكُم إِلَىٰ التَهلُكَةِ» فهو السبب في كل ما هو فيه من شقاء وبلاء.

فجأة... وجدت يدا موضوعة علىٰ كتفي، وصوت ينادي علي ويقول:

«منصور! منصور هيا لنذهب... منصور! فيم أنت سارح؟!»

لقد كان جدي، جاء إلي لأعود معه إلىٰ المنزل بعد أن أنهىٰ عمله في غرفة العمليات، وأثناء عودتنا إلىٰ المنزل ونحن نركب السيارة، سألني فيم كنت سارحا، لأنه نادىٰ علي كثيرا في البداية وأنا لم أرد، فحكيت له كل ما تخيلته، ضحك جدي كثيرا وشرح لي بالتفصيل ما كنت لا أعلمه عن الكثير من الأمراض.

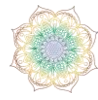
صفق المعلم لمنصور بشدة بعد أن أنهىٰ حديثه وعاد إلىٰ مكانه، ووقف المعلم وقال:

«مثلما قلت لكم يا أولادي، منصور عالم الطب المشهور، والآن أضيف إلىٰ ذلك الأديب الخيالي العبقري! ليت كل الفيروسات مثلك يا منصور! يصعب عليها حالنا، وتحن وتشفق علينا وتتركنا بلا عدوىٰ أو أذىٰ، فلو حدث ذلك لكنا خصصنا لها نصيب من الدخل القومي، بل العالمي، كل عام لنسترضيها!

ضحك منصور وضحك كل التلاميذ.

المعلم: «الآن يا أولادي كل منكم تحدث وأخذ دوره في الكلام، لقد أذهلتموني بذكائكم ومعرفتكم وخيالكم الخارق، الذي لا تحده حدود ولا تقيده روابط، كل واحد منكم يصلح أن يكون أديبا عظيما».

وفي هذه اللحظة دق جرس الحصة السادسة فنظر المعلم إلىٰ التلاميذ وقال:





«ستعلمونني أنتم كيف أتخيل وليس أنا الذي سأعلمكم، بارك الله فيكم يا أولادي وحفظكم لأنفسكم وأهليكم ووطنكم، لقد أثبتم لي الآن دون شك أن مصر منبع الحضارة والعلم، قادرة في أي لحظة أن تقود العالم كله وراءها، ومل ذلك بعقول أبنائها المليئة بالذكاء والنبوغ والإبداع.

من اليوم سأسميكم: «الصغار أدباء الخيال»

وفي هذه اللحظة دق الباب ودخل ناظر المدرسة وقال: «لقد انتهىٰ اليوم الدراسي يا أستاذ محمد، هيا يا أولاد للعودة إلىٰ بيوتكم».

المعلم ينظر إلىٰ الأطفال بعد أن خرج الناظر ثم يقول:

«لقد انتهىٰ اليوم الخيالي المفتوح الذي بدأناه منذ الصباح، فما رأيكم فيه؟!»

الأطفال في صوت واحد:

«لقد كان أجمل يوم قضيناه معك يا أستاذ»





المعلم: سأحاول مع الأستاذ «ربيع عبدالستار» الناظر أن أعطيكم حصة مثل هذه، ولو حتىٰ كل أسبوع أو أسبوعين، ليتحدث باقي زملائكم الغائبين اليوم، وأستمع إلىٰ خيالهم الجميل مثلما استمعت لكم... أراكم الأحد القادم بمشيئة الله، إلىٰ اللقاء يا أولادي.

(خرج الأستاذ محمد عبدالله وتبعه التلاميذ من المدرسة، فوجدوا أن الشمس قد أشرقت، والأرض قد جفت من مياه الأمطار.

